بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



إلقاء الأستاذ الدكتور:

أيمن بن سعود العنقري

بسم الله الرحمن الرحيم

الأصول التي يقوم عليها مذهب أهل السُّنة في الإيمان يمكن أن نوجزها فيما يلي:

الأصل الأول: أنَّ الإيمان حقيقةٌ مركبة وجودية من الظاهر والباطن.

فالإيمان محله في القلب ولا بد أن يظهر أثره على الجوارح.

وقد جاءت عبارات كثير من أئمة السلف في بيان حقيقة هذا الأصل، أنَّ الإيمان حقيقة وجودية من الظاهر والباطن، فمن ذلك:

الطريق الأول: نفي الإيمان عند انتفاء العمل الظاهر.

يقول الأوزاعي رحمه الله: "كان مَن مضى من سلف هذه الأمة لا يفرقون بين الإيمان والعمل" أنهما متلازمان.

وقال الوليد بن مسلم: "سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز يُنكرون قول مَن يقول: إنَّ الإيمان قولٌ بلا عمل" اللي هو قول المرجئة "ويقولون: لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان".

وقال الإمام أحمد -كما نقل عنه ذلك الإمام الخلال في كتابه [السُّنة]، الإمام أحمد يقول-: "الإيمان لا يكون إلا بعمل".

يعني: أنَّ العمل والإيمان متلازمان، لا يكون الإيمان إلا بعمل، هذا الطريق الأول.

الطريق الثاني: نفي الإجزاء والصحة عند انتفاء العمل الظاهر.

يعني: لا يكون الرجل مؤمنًا وهو يترك العمل بالكلية، جميع أعمال الجوارح بالكلية، هذا ليس بمسلم، فمن ذلك:

ما قاله سفيان الثوري، قال: "الإيمان قولٌ وعملٌ ونية، يزيد وينقص، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السُّنة".

فمراده بقوله: "لا يجوز" أي: لا يجزئ أو لا يصح.

قول الإمام الشافعي الذي نقلناه قبل قليل في نقل إجماع أهل السُّنة في ذلك، حيث قال رحمه الله: "كان الإجماع من الصحابة والتابعين مَن بعدهم ممن أدركناهم أنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ ونية، لا يجزئ واحدٌ من الثلاثة إلا بالآخر" نقله عنه الإمام اللالكائي في كتابه [شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة]، ونقله عنه أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه النفيس [الإيمان الكبير] مقرًّا له، لا يجزئ واحد من هذه الثلاث إلا بالآخر، فهي كلها مترابطة لا بد منها، فإذا ذهب أحدها ذهب الإيمان بالكلية.

الطريق الثالث: الحكم بأنَّ الإيمان لا ينفع بدون عمل صالح ظاهر.

فمن ذلك:

- **ما قاله الإمام الحُميدي رحمه الله، قال:** "الإيمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص، لا ينفع قولٌ إلا بعمل" يعني: لا بد من العمل الظاهر "ولا عمل وقول إلا بنية، ولا قولٌ وعملٌ بنية إلا بسُنة".

- **وقال الزهري رحمه الله تعالى** -الإمام الزهري مقررًا ذلك-: "كنا نقول: الإسلام بالإقرار، والإيمان بالعمل، والإيمان قولٌ وعمل قرينان لا ينفع أحدهما إلا بالآخر" نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه [الإيمان الكبير].

ومراد السلف بذلك: نفي النفع في أصل الإيمان، ومرادهم بالعمل: العمل الظاهر؛ لأنهم قالوا ذلك في سياق الرد على المرجئة؛ لأن المرجئة يُخرجون العمل عن اسم الإيمان، ويرون أنَّ الإنسان يكون مؤمنًا بالقول والاعتقاد، وهذا من أبطل ما يكون، هذا باطل مخالف للكتاب والسُّنة والإجماع ولتقريرات أئمة أهل السُّنة.

فهذه الطرق الثلاث التي أخذنا من خلالها تقريرات أئمة أهل السُّنة تبيِّن أنه لا إيمان إلا بعمل، ومَن لم يأتِ بالعمل بالكلية فهو ليس بمسلم، بل هو كافر، فلا يُتصور وجود التصديق والإقرار في القلب من غير عملٍ ظاهر يكون معه، ولا يُتصور أنَّ يعيش الإنسان بظاهر لا باطن له، هذا هو الأصل الأول.

الأصل الثاني من الأصول عند أهل السُّنة: التلازم بين الظاهر والباطن.

عندنا أهل السُّنة هناك تلازم بين الظاهر والباطن، هناك ارتباط وثيق ما بين باطل الإنسان وما بين ظاهره، بحيث أنَّ كلًّا منهما يؤثر في الآخر، يعني: يستحيل وجود إيمان حقيقي في القلب من غير عمل ظاهر، ويستحيل وجود إيمان في الظاهر من غير إيمان باطن يرتبط به، اللي هو التصديق والإقرار، فلا إيمان في القلب إلا بعملٍ في الظاهر.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أفاض في تقرير هذا الأصل (**إثبات التلازم بين الظاهر والباطن**) عند أهل السُّنة، ومن ذلك: ما ذكره في كتابه **[الإيمان الأوسط]**، له تقريرات كثيرة في هذا الكتاب الرائع النفيس الُمحكم المتين في هذا الأصل وهو التلازم بين الظاهر والباطن.

يقول رحمه الله تعالى في ذلك: "وإذا قام بالقلب التصديق به" يعني: بالله "والمحبة له، لزِم ضرورةً أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلوب ولازمه ودليله ومعلوله، كما أنَّ ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضًا تأثير فيما يكون في القلب، فكلٌّ منهما يؤثر في الآخر" اهـــ.

شوف التلازم بين الظاهر والباطن "فكلٌّ منهما في الآخر".

وقال أيضًا رحمه الله تعالى: "ولَمَّا كانت الأقوال والأعمال الظاهرة لازمة ومستلزمة للأقوال والأعمال الباطنة، كان يُستدل بها عليها، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ

﴿إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة:٢٢]، فأخبر أنَّ مَن كان مؤمنًا بالله واليوم الآخر لا يوجدون موادين لأعداء الله ورسوله، بل نفس الإيمان ينافي موادهم" اهـــ.

الأصل الثالث من أصولنا أهل السُّنة في الإيمان: أنَّ الإيمان يزيد وينقص ويتفاضل.

حقيقة الإيمان أنه يتفاضل، وليس شيئًا واحدًا؛ فالإيمان يتفاضل في قلوب الناس وفي أعمالهم، وهو يزيد وينقص، ولهذا قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال١-٤:].

إذًا الإيمان يتفاضل، التفاضل يكون في القلب، في التصديق، في أصل الإيمان اللي هـــو التصديق، فهو يتفاضل، ويتفاضل في الأعمال، ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وآله وسـلم: «لو وُزِن إيمان أبو بكر رضي الله عنه بإيمان الأمة لرجح إيمان أبو بكر» رضـــي الله تعــالى عنه.

فإيمان أبي بكر لا من جهة تصديقه ويقينه ولا من جهة عمله، يرجح على إيمان الأمة، فهذا فيه دليل على التفاضل، وأنَّ التفاضل يقع في القلب ويقع في الأعمال.

ولهذا غلِط الطحاوي في عقيدته لَمَّا قال: "إنَّ الإيمان واحد وأهله في أصله سواء" هذا من الأخطاء التي أُخذت على الطحاوي في عقيدته.

الأصل الرابع عندنا أهل السُّنة في حقيقة الإيمان: أنَّ شُعَب الإيمان متفاوتة عندنا أهل السُّنة.

فهناك شُعَب لا بد من الإتيان بها، مَن لم يأتِ بها لم يأتِ بالإيمان، فمن ذلك: الشهادتين، النطق بشهادة "لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله"، فمن لم ينطق بهما لم يدخل في الإسلام.

أيضًا الصلاة؛ فتارك الصلاة بالكلية الذي لم يصلِّ هو كافر بإجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما نقل ذلك عبد الله بن شقيق العُقيلي رحمه الله تعالى، قال: "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة".

ونقل محمد بن نصر المروزي في كتابه العظيم **[تعظيم قدر الصلاة]** كُفر تارك الصلاة عن عشرة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم؛ كجابر، وأبي هريرة، وغيرهم؛ فجابر رضي الله عنه قيل له: ما كنتم تعدون مَن ترك الصلاة؟ قال: "لم نكن نعدُّه من المؤمنين أو من المسلمين، نعدُّه من المشركين".

فمحمد بن نصر نقل كلام عشرة من الصحابة في كفر تارك الصلاة، ومنها: قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة" الحظ أي: لا نصيب له، نفى عنه الإيمان بالكلية.

إذًا الشهادتين وترك الصلاة هذه مكفِّرة...